كلية دار العلوم

قسم الفلسفة الإسلامية

مَنْهَجُ السَمْعَانِي

(تـ ٤٨٩هـ - ١٠٩٦م)

في دراسة العقيدة

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الفلسفة الإسلامية

إعداد الباحث

سعود عفيف حبيب الشمري

إشراف

الأستاذ الدكتور

السيد رزق الحجر

أستاذ ورئيس قسم الفلسفة الإسلامية

بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

مُقَدِّمَة:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾(١).

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَّ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَّ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢).

أما بعد:

فأن علم العقيدة من أشرف العلوم وأجلها، فموضوعه هو العلم بالله – عز وجل- وصفاته وأسمائه، ومن موضوعاته الرسالة، رسل يتنزلون من السماء يبلغون كلامه، ورسل على الأرض يجوبونها لتبليغ نوره ما قدر الله لهم.

والعقيدة: هي التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، فهو سبحانه خلقنا لتحقيقه وتبليغه والثبات عليه، فهو رسالة سامية سخر الله **-سبحانه وتعالى-** لها أئمة أعلامًا يتلقونها بقلوبهم، ويبذلون من أجل تبليغها الغالي والنفيس، واستمرت رسالة التوحيد الخالدة، تنتقل من أعلام إلى أعلام، قيَّضهم الله تبارك وتعالى لرعايتها، كما قيَّض الأم لرعاية صغارها، فانبروا يجاهدون في تعلُّمها وتعليمها، كي ينالوا شرف حمل الأمانة التي بدأها جبريل عليه السلام فيا له من مجدٍ، ويا لها من غنيمة.

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

ويُعد الإمام أبو المظفر: منصور بن محمد بن عبدالجبار المروزي السمعاني (٤٨٩هـ) من أولئك العلماء الذين تركوا إرثًا علميًا في هذا الجانب.

وقد تشعبت علوم السمعاني وتعدّدت، كما هو حال الأعلام الجهابذة في تلك الأزمنة، فهو حبر في الفقه وأصوله وحبر في اللغة وحبر في الحديث وحبر في التفسير، وكذلك فهو حبر في العقيدة، التي هي موضوع بحثنا هذا.

سبب اختيار الموضوع:

أولًا: أهمية موضوع هذا البحث:

يمكننا الكشف عن أهمية موضوع هذا البحث من خلال ما تضمنه عنوانه من أجزاء، وهي على النحو الآتي:

١- يستمد هذا البحثُ أهميته من أهمية موضوعه وهو العقيدة، فالعقيدة هي أجلُّ العلوم وآكدها؛ لذا فهي أول واجب يجب على الناس معرفته، قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله** ﷺ»(١)، فهي أصل العلوم؛ لأنها المحرك لكل عطاء، والموقد لكل طاقة، ولا أدل على مكانتها وأهميتها المقدمة على جميع العلوم مما تضمنته من موضوعات جليلة، كعلم التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، وما انضوى تحتها من علوم كالإيمان بالله، وملائكته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وغيرها من موضوعات جليلة، والحديث عن مكانة العقيدة يطول، وفيما ذكر كفاية في تحقيق المراد.

(١) رواه البخاري، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة ح (٢٥): (١/ ١٤)، ومسلم في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله ح (٢٢): (١/ ٥٣).

٢- ويستمد هذا البحث أهميته من أهمية العَلَم الإمام الذي نال هذا البحث شرف دراسة منهجه في العقيدة، وهو من أئمة الإسلام؛ إذ ترك للأمة الإسلامية إرثًا علميًا، نتيجة لما قام به من جهود، تناقلها المسلمون فيما بعد، حتى وصلت إلينا يانعة، وأكتفي بهذا القدر اليسير، ففيه كفاية لبيان مكانة السمعاني التي استمد هذا البحث جزءًا من أهميته منها، وفي تمهيد هذا البحث دراسة موجزة وافية لحياة السمعاني تناولت جُلَّ مراحلها.

٣- وأيضًا فإن هذا البحث يستمد أهميته من الجزء الثالث من أجزاء عنوان هذا البحث؛ وهو: المنهج، فهو الجزء الرابط بين جزئي هذا البحث الرئيسيين: العقيدة، والإمام السمعاني؛ فمنهج السمعاني هو ذلك الطريق الذي اختطه وسار عليه، ومن خلاله درس موضوعات العقيدة ومسائلها من خلال جناحي منهجه الأصيل، وهما: استمداد العقيدة وتقريرها، وكذلك حماية العقيدة والذب عنها. وهذا المنهج الرزين هو منهج أهل السنة قاطبة، سار عليه الإمام السمعاني، ودافع عنه.

ثانيًا: التعرُّف على مرحلة التحول الكبيرة التي مر بها الإمام السمعاني في حياته العلمية والفكرية، فقد نشأ السمعاني حنفيًّا قدريًّا، واستمر على هذا المذهب، دارسًا ثم مدرسًا ومناظرًا، حتى إذا بلغ أربعين سنة، تحول إلى مذهب الشافعية في الفروع، وإلى مذهب أهل السنة والجماعة في أصول الاعتقاد، فأحببت أن أتعرف عن قرب على أسباب ومؤثرات هذا التحول الذي حدث للسمعاني، وهو يعتبر قبل هذا التحول رأسًا من رؤوس الأحناف.

ثالثًا: التعرُّف على الأثر الذي نتج عن تحول السمعاني:

في المقام الأول: أثره على عقيدته وفكره، وأين استقر به المعتقد من بين التوجهات المختلفة في مذهبه الجديد، ويمكننا من خلال دراسة منهجه في العقيدة، أن نجيب بدقة عن هذه

التساؤلات؛ لأن موضوع دراسة المنهج تكشف لنا الأصول التي يستقي منها السمعاني معتقده، فنستطيع حينئذٍ تحديد ما استقر السمعاني عليه من انتماء من بين الانتماءات المختلفة في مذهبه الجديد بدقة شديدة، وكذلك فإن دراستنا لمنهج السمعاني في الرد على المخالف، تكشف لنا أيضًا جوانب دقيقة من انتمائه الجديد بعد التحول؛ لأننا سنتعرف من خلال ردوده على المخالفين على البون الذي بينه وبين مخالفيه في داخل مذهبه الجديد.

وفي المقام الثاني: يمكننا التعرف على الأثر الذي خلَّفه تحول السمعاني على الأوساط العلمية والفكرية، وعلى رأسها مذهبي الأحناف والشافعية، وكذلك يمكننا أن نتعرف على حجم الأثر الذي خلَّفه السمعاني بمعرفة مستوى التعاطي مع هذا التحول ومقدار ما أحدثه من ردود أفعال على مستوى الساسة والزعماء.

رابعًا: رغبتي في دراسة جانب من جوانب عقيدة السمعاني، بحيث تكون دراسة متممة لدراسات تناولت الجوانب الأخرى من عقيدته -رحمه الله-:

كنت قد تقدمت إلى مجلس القسم بخطة بحث تحت عنوان: السمعاني وآراؤه الكلامية، لنيل درجة الماجستير، ثم بعد الموافقة الخطة، شرعت في الكتابة، إلا أنه تبيَّن لي وجود أطروحة بعنوان: [جهود أبي المظفَّر السمعاني في تقرير عقيدة السلف] مقدمة إلى الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وهي كما هو واضح من العنوان، قريبة في مضمونها من مضمون أطروحتي، فتوجهت إلى المدينة المنورة، واطَّلعت على تلك الرسالة في مكتبة الجامعة الإسلامية؛ حيث إنها لم تكن قد طبعت آنذاك، ولفت انتباهي أن الباحث تكلم عن عقيدة السمعاني، ولم يتطرق إلى بيان منهجه في دراستها، إلا بما يعادل صفحة واحدة، فاستشرت في هذا التطور الجديد فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي - حفظه الله- المشرف على رسالتي، وأطلعته على ما استجد من تطور، وتقدمت إلى فضيلته بإبداء رغبتي في تغيير موضوع رسالتي من عنوانها المثبت، إلى الكتابة في موضوع منهج السمعاني في العقيدة، فبارك فضيلته هذا التغيير، وتفضل

مشكورًا بمساعدتي في اختيار عنوان لموضوعها الجديد بحيث أصبح: «**منهج السمعاني في دراسة العقيدة**» فتوكلت على الله - تبارك وتعالى- وواصلت مسيرة الكتابة في هذه الأطروحة بعنوانها الجديد.

ومما حفزني إلى اختيار موضوع منهج السمعاني في دراسة العقيدة:

أن دراسة هذا الموضوع ستكون بإذن الله – تعالى- دراسة متممة لما سبقني به الباحثون من دراسات للجانب العقدي عند السمعاني، فكانت هذه الدراسة كاللبنة ألتي أكملت البناء، فغدا تامًّا تتكامل الأبحات والدراسات التي كتبت في باب الاعتقاد عند السمعاني، دون ما تكرار في هذه الدراسات.

والمجال مفتوح للباحثين للتقدم بدراسات من شأنها أن تضيف الجديد للجانب العقدي في ميراث الإمام السمعاني العلمي.

من هنا يمكننا أن نتحدث عن الدراسات السابقة المتعلقة بالإمام السمعاني للتعرف عليها، وللوقوف على مكان موضوع منهج السمعاني في دراسة العقيدة منها.

منهج الدراسة:

لاشك أن الباحث لا بد له من منهج البحث العلمي؛ حتى يستطيع من خلاله أن يعرض بحثه وفق الأسس العلمية السليمة، وأن يتمكن من استنباط النتائج المفيدة التي يسعى للتوصل إليها.

والمنهج الذي أحدده لأسير عليه نابعٌ من فهمي لمنهج أهل السنة والجماعة، وخاضع للغاية التي أعمل لتحقيقها، وهي إبراز منهج السمعاني في دراسة العقيدة، وقد تعددت المناهج المتبعة في هذه الدراسة ما بين المنهج التحليلي والمنهج النقدي والمنهج المقارن، ويمكن تحديد أهم معالم المناهج المتبعة في هذه الدراسة على النحو الآتي:

١) استنباط منهج السمعاني في دراسة العقيدة من نصوص القرآن والسنة.

٢) تحديد الموقف من الدراسات السابقة واتخاذها وسائل مساعدة للفهم، ونستعين بها عندما نواجه مشكلة من المشكلات، فنتخذ من تلك الدراسات واسطةً بين البداية والنهاية.

٣) استخدام النصوص الإسلامية التي يعتمد عليها في دراسة الأفكار بعد التحقق من صدقها والرجوع إلى معانيها، وأقصد بالنصوص هنا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وذلك بدراسة المتعلق منها بكل نقطة من نقاط البحث؛ حيث إن دراستها تعطي صورة كاملة عن جوانب الموضوع كمًّا وكيفًا.

وكما أشرتُ فقد تنوعت المناهج المتَّبعة في هذه الدراسة طبقًا للمعالجات فهناك المنهج التحليلي، وفي هذا المنهج أكتفي بالرصد والعرض لمنهج السمعاني في دراسة العقيدة من حيث قضاياها ومباحثها المتعددة مع إبداء الرأي في كل مبحث من هذه المباحث؛ لأن المنهج التحليلي لا يُعنى فقط بالرصد المجرد للظاهرة، ولكنه يتيح للباحث إبداء الرأي فيما يرصد ويعرض.

وتبعًا لما سبق، يأتي المنهج النقدي، ومن خلال هذا المنهج أعرض لقضايا البحث وتحليلها

ودراستها وتقييمها، ثم إصدار الحكم عليها، فلا أتردد في الإشارة إلى نقاط القوة والضعف-إن وجدت- في أية فكرة من أفكار البحث، والإشارة إلى الخطأ والصواب في أي مسألة من مسائل الدراسة التي أقدم لها بحسب فهمي لها.

عملي في البحث:

١- استخلصت المادة العلمية من كتب السمعاني، فقسمتها على ما استقرت عليه الخطة في صيغتها النهائية.

٢- شرعتُ بتوزيع ما جمعته من مادة علمية، على فصول الخطة ومباحثها.

٣- عزوت الآيات من القرآن الكريم إلى سورها مبيِّنًا رقم الآية.

٤- عزوت الأحاديث النبوية إلى مواضعها في كتب السنة.

٥- ضمنت البحث عددًا من الفهارس تيسيرًا للقارئ الكريم، وهي على النحو الآتي:

أ- فهرس الآيات من القرآن الكريم.

ب- فهرس الأحاديث النبوية.

ج- فهرس المحتويات.

خطة الدراسة:

جاءت الدراسة على تمهيد وأربعة فصول.

أما **التمهيد**:

ففي التعريف بأبي المظفر السمعاني، وفيه:

أولًا: اسمه ونسبه.

ثانيًا: مولده ووفاته.

ثالثًا: نشأته وبيئه العلمية.

رابعًا: رحلته في طلب العلم.

خامسًا: شيوخه.

سادسًا: تلاميذه.

سابعًا: مؤلفاته.

الفصل الأول: «منهج أبي المظفر السمعاني في التلقي والاستدلال».

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مصادر التلقي عند الإمام السمعاني، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الكتاب والسنة:

أولًا: منهج السمعاني في دراسة ثبوت الكتاب والسنة.

ثانيًا: منهج السمعاني في استنباط المعتقد من نصوص الكتاب والسنة.

- قواعد منهج السمعاني في دراسة نصوص الكتاب والسنة.
- منهج السمعاني في وسائل دراسة نصوص الكتاب والسنة.

المطلب الثاني: منهج السمعاني في الاستدلال بالإجماع.

المطلب الثالث: منهج السمعاني في الاستدلال بالفطرة.

المطلب الرابع: منهج السمعاني في الاستدلال بالنظر والتفكر.

المبحث الثاني: منهج السمعاني في وسائل فهم دلائل الوحي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: منهج السمعاني في فهم السلف الصالح لدلائل الوحي.

المطلب الثاني: العقل ومجالاته ودوره كوسيلة في فهم دلائل الوحي.

الفصل الثاني: «منهج السمعاني في دراسة الإلهيات»

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: منهج السمعاني في دراسة توحيد الربوبية.

المبحث الثاني: منهج السمعاني في دراسة توحيد الألوهية.

المبحث الثالث: منهج السمعاني في دراسة توحيد الأسماء والصفات.

الفصل الثالث: «منهج السمعاني في دراسة أصول العقائد»

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: منهج السمعاني في دراسة الإيمان بالملائكة.

المبحث الثاني: منهج السمعاني في دراسة الإيمان بالكتب السماوية.

المبحث الثالث: منهج السمعاني في دراسة الإيمان بالرسل.

المبحث الرابع: منهج السمعاني في دراسة الإيمان باليوم الآخر،

المبحث الخامس: منهج السمعاني في دراسة الإيمان بالقضاء والقدر.

المبحث السادس: منهج السمعاني في دراسة المسائل المتعلقة بالإيمان.

الفصل الرابع: «منهج السمعاني في الرد على المخالف»

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: منهج السمعاني في الرد على بعض علماء الكلام.

المبحث الثاني: منهج السمعاني في الرد على منكري الرؤية.

المبحث الثالث: منهج السمعاني في الرد على نفاة القدر.

وأما الخاتمة، ففيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث بعد الدراسة، وقائمة بالمصادر والمراجع.

الدراسات السابقة لميراث الإمام السمعاني العلمي:

أولًا: رسالة بعنوان: جهود أبي المظفر السمعاني في تقرير عقيدة السلف، للباحث محمد بن بو بكر بن علي، وقد حصل فيها على درجة الماجستير في العقيدة من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة.

وقد تناول فيها جهود السمعاني دون منهجه وعرض لذلك في أبواب ثلاثة:

الأول: جهود أبي المظفر رحمه الله في توضيح توحيد الله عز وجل.

الثاني: جهود أبي المظفر رحمه الله في بيان وتوضيح جملة من مسائل الإيمان.

الثالث: جهود أبي المظفر رحمه الله فيما يتعلق بحق الصحابة رضي الله عنهم[1]

ثانيًا: فصولٌ من كتاب الانتصار لأصحاب الحديث، للدكتور محمد بن حسين الجيزاني، وهو كتاب جَمَعَ فيه مُعِدُّه شتات ما وصلنا من كتاب الانتصار لأصحاب الحديث، وقد جمع مادته القيمة من مجموعة مصنفات نقلت فصولًا وأقدارًا يسيرة منه، وهي:

١- الحجة في بيان المحجة، للتيمي الأصبهاني.

٢- مختصر الصواعق المرسلة، لابن قيم الجوزية.

٣- صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، للسيوطي.

---

(١) للاطلاع على البحث: الجامعة الإسلامية - كلية الدعوة وأصول الدين –قسم الدراسات العليا – شعبة العقيدة.

تمهيد: التعريف بالإمام السمعاني

تمهيد: التعريف بالإمام السمعاني

أولًا: اسمه ونسبه:

أبو المظفر: منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد بن جعفر بن أحمد بن عبد الجبار بن الفضل بن الربيع بن مسلم بن عبد الله بن عبد الحميد(١)، التميمي، السمعاني، المروزي، الحنفي ثم الشافعي(٢).

ثانيًا: مولده:

ولد أبو المظفر السمعاني في ذي الحجة، سنة ستٍّ وعشرين وأربعمائة (٤٢٦) من الهجرة، في خراسان، وتحديدًا؛ في مدينة مرو، فنسب إليها (٣).

ثالثًا: نشأته وبيئته العلمية:

كان للمحيط القريب لأبي المظفر السمعاني، أثر بالغ في تكوينه العلمي؛ لكونه الحاضن

---

(١) وجدُّه عبد الحميد هو آخر ما توصلت إليه من آبائه – رحمه الله-ذكره حفيده الإمام أبو بكر السمعاني في التحبير، في ترجمته لابن أبي المظفر أبو محمد الحسن بن منصور السمعاني، وذكره الإمام جمال الدين القفطي، في ترجمته لمحمد بن منصور، الابن الأكبر لأبي المظفر، ولكن باسم (عبد المجيد) وليس (عبد الحميد)، وتابعه الإمام السبكي، ومحمد بن علي الداوودي المالكي، وكذلك ذكره باسم (عبد المجيد) الإمام أحمد بن محمد الأدنة وي في ترجمته لأبي المظفر، والراجح المثبت، وهو (عبد الحميد)، لأن قائله حفيد أبو المظفر فهو أعلم بنسبه، ولأنه أقرب عهدًا بآبائه من غيره، فلا تؤثر كثرة مخالفيه، راجع: التحبير في المعجم الكبير لتاج الإسلام السمعاني: (١/ ٢١٦)، إنباه الرواة على أنباه النحاة لجمال الدين القفطي: (٣/ ٢١٦)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: (٧/ ٥)، طبقات المفسرين للأدنهوى: (١/ ١٤٣)، طبقات المفسرين للداوودي: (٢/ ٢٥٨).

(٢) انظر ترجمته في: الأنساب لأبي سعد السمعاني: (١/ ١)، وسير أعلام النبلاء للإمام الذهبي: (٢ / ٤٥٦)، وطبقات الشافعية للسبكي: (٥/ ٣٣٥). كما جمع الدكتور عبد القادر منصور ترجمة وافية له، في مقدمة تحقيقه لسورتي القاتحة والبقرة من تفسير السمعاني.

(٣) الأنساب للسمعاني: (٧/ ٢٢٥).

المباشر له في صغره ونشأته، فقد قيَّض الله -سبحانه وتعالى- له من الأسباب والعوامل المتنوعة، ما مهَّد الطريق أمامه، لينشأ نشأة علمية تربوية، كوَّنت الدرجات الأول، في سلمه العلمي التحصيلي، ومن أهم هذه العوامل:

أولًا: والده:

الإمام القاضي أبو منصور محمد بن عبد الجبار، كان -رحمه الله- من أئمة الحنفية. وكان إمامًا، فاضلًا، ورعًا، متقنًا، أحكم العربية واللغة، وصنَّف فيها التصانيف المفيدة(١). وكان إلى جانب إمامته في العلم، مربيًّا حريصًا على تربية ابنه، وتلقينه العلوم، في وقت مبكر من حياته، فخصَّه وأخاه أبا القاسم بدارسة مذهب أبي حنيفة -رحمه الله(٢)، ولنا أن نقول: إن والد أبي المظفر، مثل المؤثر المباشر والريادي في نشأته، وفي مسيرته العلمية.

ثانيًا: أخوه:

أبو القاسم علي بن محمد بن عبد الجبار -رحمه الله- كان دوره مكملًا لدور أبيه في نشأة أبي المظفر وفي حياته العلمية عمومًا، فهو وإن كان يصغره سنًّا، إلا أن سنَّهما كان متقاربًا، فكان رفيقًا لدربه، معينًا له على المدارسة، مهوِّنًا عليه مكابدة الطلب، فكان تأثيره إيجابيًّا في حياته، وسدَّ مسدًّا في حياة أبي المظفر ما كان لأبيه أن يسده، ومما يدل على تقارب سنهما، تلقيهما للعلم جنبًا إلى جنب على أبيهما في بداية مشوارهما العلمي.

ثالثًا: شغف الأسرة باقتناء الكتب:

ومن العوامل المحيطة بأبي المظفر السمعاني -رحمه الله- والتي أثرت في نشأته العلمية تأثيرًا إيجابيًّا، شغف أسرته الكريمة باقتناء الكتب، والعناية بها.

فقد أنشأ السمعانيون مكتبة عظيمة في مدينة (مَرْو) خاصة بهم، كانت إلى جانب العديد

---

(١) الأنساب للسمعاني: (٧/ ٢٢٢).

(٢) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي: (٥/ ٣٣٦).